

## علم الحيوان في التراث العربي الإسلامي

باقر محمد الكرباسي

### المقدمة:

قد لا يعرف كثير من ابناء الناطقين بالضاد ان العلماء العرب بحثوا في البيطرة وعلوم الحياة وسبروا اغوار هذين العلمين وبذلك كانوا الرواد الاوائل فيهما واللذان يعدان من اركان التقدم العلمي الحديث، وكانوا هم السباقين الى معرفة التصنيف الاحيائي وقضايا التطور والوراثة واساليب معيشة الحيوانات وسلوكها (1)، ووضعوا المبادئ الاولى عن علوم النبات واختصوا في وصفها ووضع كل علم في مجموعته، اذ ان الحضارة الاسلامية تشغل مكانة مرموقة في تاريخ البشرية حيث توضح ذلك بجلاء خلال السنوات الاخيرة، ولاسيما بعد كشف دور العلماء العرب في تطور مفهوم العلوم التطبيقية التي اشتقت لها طرقا ومسالك جديدة في كل العصور والتزال حية الى الوقت الحاضر، ونعني بذلك علوم الطب والصيدلة والبيطرة وعلوم الحيوان والنبات والكيمياء وعلم الارض (2).

### البحث:

حدد العلماء العرب والمسلمون اهدافهم العلمية في دراسة النبات والحيوان، اذ اعتمد الجاحظ (ت255هـ) في اعداد كتاب الحيوان وتأليفه على الادلة المنطقية والآيات القرآنية واحاديث الرسول العربي وتجربته الشخصية ونقده العلمي ومناقشاته المسهبة، والطريقة اضافة الى تراث العصر الذي عاش فيه الجاحظ وثقافته، والمصادر العربية الاصلية المتوافرة لديه، وقد تكلم جابر بن حيان الكوفي (ت200 هـ) عن ملامح الفلسفة الإسلامية المتمثلة في تقديس العلم، لانه يكشف عن النفس الآفات والبلايا، ويحفظ لهم الصحة الجسمية والممتلكات المادية الحياتية، وقد ادرك جابر بن حيان منذ وقت مبكر ان جوانب الكسب في العمل العلمي تتركز على الكسب الروحي وخدمة الانسان (3). وقد اشار الجاحظ الى الحكمة من دراسة عالم الحيوان سواء الانواع الصغيرة او الكبيرة من الحيوانات (4).

وقد تكلم الجاحظ ايضا عن القيمة العلمية للمعلومات عن حياة الحشرات، والدروس العلمية التي يمكن الاستفادة منها في دراسة الحياة الاجتماعية للنحل، والفوائد والمنافع التي يمكن ان يجنيها الانسان من ذلك (5).

وقد اعتمد الجاحظ في منهجه العلمي في دراسة الحيوان على الحجج الظاهرة والادلة المترادفة اذ اكد على ايضاح الحق بالحق والحجة بالحجة، وكان الجاحظ يرفض الدراسة غير الموثقة والاسانيد المدخولة بين تضاعيف الحق والتأليف الموثق وكان الجاحظ يرفض الاسهاب ويشير الى اخطاء النساخ وسقطات الوهم وفتلات الضجر وعادة التسرع، وقد اشار الجاحظ الى اهمية التفكير ودوافعه في علوم الحياة، وذلك لان عالم الحيوان الواسع يدعو الانسان الى الدارسة العلمية المنطقية (6).

### الحيوانات والحشرات كسبب من اسباب الامراض:

جاء ذكر مرض داء الكلب لدى اغلب الاطباء العرب والمسلمين من امثال علي بن العباس المجوسي (كان حياً قبل 384 هـ) وابن سينا (ت 428 هـ) وابن النفيس (ت687هـ) والدميري (ت808هـ) وغيرهم ووصفوه قبل باستور (7)، الذي اعلن انه اول من اكتشفه ووصف اللقاح للتحصين منه، ويتبين مما كتبه الاطباء العرب معرفتهم بان مرض داء الكلب من الامراض المعدية التي تنتقل للانسان عن طريق الكلاب وهذا جعل المسؤولين ينتبهون الى حذر الكلاب السائبة على البيئته والانسان فمما يروى ان ابن سحنون القاضي القيرواني (ت240هـ) امر الشرطة بقتل الكلاب التي تجول بطرقات المدينة (8). ومما يؤثر على الطبيب ابن التلميذ (ت560هـ) انه ذكر ضرر الذباب على الجرح قبل اكتشاف المتأخرين له، حيث قال:

لا تحقروا عدواً لان جانبه ولو يكون قليل البطش والجلد

فلذبابه في الجرح الممديد

تتال ما قصرت عنه يد الاسد (9)

وقال اخر :

لا تحقرن صغيراً في مخاصمة

ان البعوضة تدمي مقله الاسد

وعرف الاطباء العرب والمسلمون ان ناقل مرض حبة بغداد (او كما يسمونها البلخية ) حشرة تشبه البعوض ، يقول ابن سينا عن ذلك (والبلخية من جنس السعفه الرديئه وربما كان سببها لسعاً مثل البعوض الخبيث)<sup>(10)</sup> وهذا من اقدم الاشارات الى حدوث او انتقال مرض مستديم ومستوطن بعد عضه حشرة.

وقد اسهب الاطباء العرب والمسلمون في ذكر تأثير عضه الحيوانات والحشرات وكذلك في كيفية التخلص من الانواع الضارة (كالحيات والعقارب والبراغيث والبعوض والفأر ولذباب والزنابير والخنافس والارضة... الخ)<sup>(11)</sup>

### ما كتبه العلماء العرب في علم الحيوان:

كتب العلماء العرب في مجالات علوم الحياة (الحيوان والنبات) مؤلفات عديدة على مر العصور، وقد اعتمد كل واحد منهم على طريقته المنهجية في الكتابه والبحث والتأليف مستندا على ثقافة العصر وتأثيرات الحركة العلمية للمرحلة التي عاش فيها ، ان اول من ذكر الحيوان ووصفه وصفاً بديعاً وعلمياً هو الامام علي بن ابي طالب (ع) حيث كان كلامه خالياً من شوائب الخرافات والاساطير ، وقدم لنا دراسة صحيحة ولم يدع اللامعقوليات تملأ حديثه عن الحيوان ، من وصفه العلمي للانسان يقول: (اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم) ان هذا الكلام مطابق تماماً لعلم وظائف الاعضاء (الفسولوجيا) الحديث ، فالعين كما هو معروف تشبه الشحمة كما وصفها الامام علي ، وهذه التسمية موفقه لما للشحم من طراوة ورخاوة وليس هناك أي جزء من العين يدخل في تركيبه العظام او الغضاريف الصلبة حتى العدسة فأنها تتكون من نسيج ضام-رخو نوعاً ما ، ويضيف الامام ، ويتكلم الانسان بلحم.. والمعروف ان الكلام الذي يخرج من الانسان يتكون جزأين مهمين هما احداث الصوت وترتيب الصوت بمقاطع وحروف مفهومة لا يتم الا بواسطة اللسان والشفة والاسنان ، واللسان والشفة يتكونا من نسيج عضلي مخطط ، وللم في الجسم هو العضلات المخططة الارادية، ولو دخلنا في عملية تشريح الاذن الخارجية والداخلية لرأيناها تتكون في اكثر تركيباتها الفسلجية من عظام ، وهذا يوضح ان كلام الامام علي عن أن الانسان يسمع بعظم انما هو صحيح تمام ويتفق تمام التفاق مع العلم الحديث<sup>(12)</sup>، وبعد ذلك يقول الامام ويتنفس الانسان من خرم ، كلنا يعرف أن جهاز التنفس في الانسان يبدأ بفتحات الانف والفم ، ولكن هذه الفتحات كلها تؤدي بالهواء الى فتحة صغيرة هي فتحة المزمار او لسان المزمار في بداية القصبة الهوائية وأن هذه الفتحة صغيرة وتسميتها من قبل الامام بالخرم انما هو مناسب وصحيح يطابق البحث العلمي<sup>(13)</sup>.

ويحدثنا الامام علي بعد ذلك عن حياة النمل اذ يقول: {انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تتال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دببت على ارضها وصبت على رزقها تنقل الحبة الى حجرها وتعددها في مستقرها تجمع حرها لبردها وفي وردها لصدورها مكفول برزقها مرزوقة بوقفها ، لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس ، والحجر الخامس}<sup>(14)</sup>. وكلام الامام (ع) هذا عن النمل جاء مطابقاً تماماً لما عرفه العلم الحديث عن النمل وسلوكه الاجتماعي المدهش.

ومن العلماء العرب الذين وضعوا بمثابة معاجم لغوية في الحيوان تضم مجموعة من المواد الاصطلاحية واللغوية ، قبل ان تبحث في طبائع وسلوك وحياة الحيوانات ، ومنهم:

النضر بن شميل (ت822م) وهو عالم لغوي ترك مجموعة من المؤلفات التي صنف فيها اكبر عدد ممكن من انواع الحيوانات ومن اهم مؤلفاته في هذا الصدد: كتاب الصفات الذي يقع في خمسة اجزاء : الثالث = للابل فقط .

الرابع = الغنم والطير والشمس والقمر .

الخامس = النبات .

والبصري ابو عبيده (ت 210 هـ) ومن اشهر كتبه : كتاب خلق الانسان وكتاب الطير وكتاب الحيات وكتاب العقارب وكتاب الخيل.

وابن السكيت (ت 234 هـ) من مؤلفاته : كتاب الوحوش ، كتاب الابل ، وكتاب الحشرات .

وابو سليمان الملقب بالحامض: ترك عدة كتب في الحيوان منها كتاب خلق الانسان وكتاب الوحوش .

وابو زيد الانصاري (ت 215 هـ): من مؤلفاته كتاب الابل وكتاب الوحوش وكتاب النحل والحشرات وكتاب الطير وكتاب خلق الانسان.

واحمد بن حاتم الباهلي (ت 849م) : له في الحيوان اربعة كتب هي: كتاب الابل وكتاب الخيل وكتاب الطير وكتاب الجراد (15).

اما ابو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ) تناول في موسوعته المعروفه (عيون الاخبار) في الجزء المسمى الطبائع الكثير من سلوك الحيوانات وطبائعها ، فيقول مثلاً بشأن الخفاش = {ومن عجائب الخفاش انه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الحالكة وتحيل انثاه وتلد وترضع وتنطير بلا ريش وتحمل ولدها تحت جناحها وربما ولدت وهي تطير ولها اذنان واسنان وجناحان متصلان برجليها} (16) ومن هنا نستدل على ان ابن قتيبة قد تمكن من ان يضع الخفاش في موضعه الصحيح (الثدييات).

وموفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت629م) له مختصر الحيوان وله في الفصل الثالث من مقاله الاولى من كتاب مختصر اخبار مصر، ذكر فيه ما تختص به مصر من الحيوانات (17).

واحمد بن علي المقرئ (ت845 هـ) ترك كتابا عنوانه (نحل عبر النحل) تناول فيه حشرات النحل من الناحية الحيوانية فتكلم عن اليعاسب ووصفها وصفاً علمياً دقيقاً وذكر اسماء النحل في ادوار نموه المختلفة من البيضة الى الحشرة الكاملة (18).

اما زكريا بن محمد القزويني (ت 628هـ) فقد ألف كتابا مهما في العلوم الطبيعية (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) الذي يقع في 282 صفحة وقد صنف القزويني في كتابه هذا الحيوانات على ستة اصناف هي كالآتي:

- 1- الانسان، وبيّن حقيقته وكيفية تولده وتشرح اعضائه كما بين قواه وحواسه .
- 2- الدواب ، تبدأ بالفرس وتنتهي بالحمار الوحشي .
- 3- الغنم ، وذكر بضمنها ثمانية انواع كالابل والایل والغزلان.
- 4- السباع ، وذكر بضمنها الاسد والنمر وابن أوى .
- 5- الطيور ، خمسون نوعاً كالحمام والغراب والدجاج بضمنها الخفاش والعنقاء .
- 6- الهوام والحشرات ، اثنان وثلاثون نوعاً كالارضه والجراد والذباب وبضمنها الفأر والافعى والقنفذ (19).

ووصف اخوان الصفا (الرابع الهجري - العاشر الميلادي) في رسائلهم انواعاً مختلفة من الحيوانات وطرق معيشتها وسلوكها وتكلموا عن الحيوانات المائية ووصفوا الغضاريف والعظام والاوردة والشرايين والرباطات والاجهزة الهضمية والدورية والعضلية والتنفسية مما يدل على ان علماء العرب قد مارسوا التشريح وقد وضع اخوان الصفا تصنيفاً منطقياً للحيوانات اعتبر في نظر علماء الحيوان المعاصرين من التصنيف الموضوعية التي فاقت التصنيف التي سبقتها (20).

وهذا يعطينا زخماً كبيراً على ما قدمه العرب من اسهامات علمية جادة في اكثر علوم الحياة وعلم الحيوان بصورة خاصة ، مما يؤكد مرة اخرى ان للعرب أيداً بيضاء في اغناء الحضارة الاوربية في كثير من العلوم.

ومن اهم الكتب في علوم الحيوان والبيطرة التي عرفت وكشف النقاب عنها كما يأتي : (21)

1. كتاب الحيوان : لابي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ) ويعد اقدم كتاب الفه العرب في هذا المجال

2. كتاب الحيوان : للجاحظ (ت255هـ) : تتألف هذه الموسوعة من سبعة مجلدات تتناول انواع الحيوانات واصنافها .
3. كتاب الحيوان : لاحمد بن ابي الاشعث (ت360هـ) .
4. كتاب طبائع الحيوان وخواصها ومنافع اعضائها : لعبيد الله بن بختيشوع (ت453هـ) .
5. كتاب منافع الحيوان : لعلي بن محمد بن الدريهم الموصلي (ت762هـ) .
6. كتاب حياة الحيوان الكبرى : للشيخ كمال الدين الدميري (ت808هـ) وهذا الكتاب جاء شبه كامل من حيث تعداد انواع الحيوانات واصنافها .
7. كتاب بلوغ المراد من الحيوان والنبات والجماد : لابي بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي (ت837هـ).
8. كتاب كشف البيان عن صفات الحيوان : لابي الفتح محمد بن صالح الاسكندراني العوفي (ت906هـ) وهو كتاب ضخّم وقع في ثلاثة عشر مجلداً.
9. كتاب الامام فيما يتعلق بالحيوان من الاحكام : لمحمد عيسى بن محمود بن محمد بن كتان (ت1153هـ) .
10. رسالة في اعضاء الحيوان وفعالها وقوتها : للفارابي (ت339هـ) .
11. كتاب الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق : لقسطا بن لوقا (ت300هـ).
12. كتاب الحشرات : لابي خيرة الاعرابي .
13. كتاب النحل والعسل : لابي عمرو الشيباني (ت206هـ) .
14. كتاب الحيات والعقارب : لابي عبيدة (ت210هـ) .
15. كتاب النحل والعسل : للاصمعي (ت213هـ) .
16. كتاب النحلة والبعوضه : لعلي بن عبيدة الريحاني (ت219هـ) .
17. كتاب الذباب : لابن الاعرابي (ت231هـ) .
18. كتاب الجراد : لابي نصر احمد بن حاتم (ت231هـ) .
19. كتاب كامل الصناعتين ، الزردقة والبيطرة : لابي بكر بن المنذر بن البيطار (1340م) .
20. كتاب القول في البغال : للجاحظ (ت255هـ) .

اما ابن سينا (ت428هـ) فقد افاض في دراساته للحيوانات بالجزء الخاص بالحيوان من كتاب الشفاء ، مما يدل على إلمامه وشغفه الكبير في علم الحيوان ايضاً<sup>(22)</sup> .

اما ابو عثمان الجاحظ (ت255هـ) فكانت اهم مؤلفاته كتابه الحيوان الذي يعد شبه منسق علمياً يحوي مبادئ نظرية النشوء الحديثة كما يحوي كثيراً من المعلومات عن سيكولوجيا الحيوان ، وكتاب الجاحظ هذا هو دراسة لاقسام الحيوان ، ولأحواله وعاداته وخصائصه ، وقد جمع مواده من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واشعار العرب ومن أفواه الرواة وكتب علماء اللغة ، وقد اسهم الجاحظ في تقديم كثير من المعلومات المتفرعة والمتشعبة في علم الحيوان مما جعله يقف في مصاف اهم العلماء الذين استخدموا الملاحظة والمشاهدة والعقل في اظهار الحقائق ، فالجاحظ دقيق الملاحظة ، عميق التفكير في وصف للحيوان ، وقد اعد الجاحظ من اوائل علماء الحيوان التجريبيين الذي استند على الملاحظة والتجربة ليصل الى الحقيقة<sup>(23)</sup> . اما كمال الدين ابو البقاء الدميري (ت808هـ) الذي يعد اول عالم احيايي يحلل التكافل (التعاون) عند الحيوان بصورة علمية صرفة ، وموسوعته (حياة الحيوان الكبرى) عمل عظيم كان له صدى واسع في الشرق والغرب وهي موسوعة حيوانية ، رتب فيها الدميري الحيوانات على حروف الهجاء اذا انها موسوعة غنية بما تحويه من المواضيع المختلفة كالعقائد والحديث وعلم النفس والادب والطب الشعبي والاشعار واللغة بالاضافة الى علوم الحيوان المختلفة، وقد وصف فيه عددا كبيرا من انواع بلغت نحو تسعمئة نوع، وقد تمكن الدميري من تأليف كتابه النفيس هذا بعد ان احاط بما يقارب من 560 كتاباً و 199 ديواناً من دواوين شعراء العرب.<sup>(24)</sup>

لقد أعطانا الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى مادة علمية غزيرة عن الحيوانات التي بحث ودرس عنها.

## هوامش البحث

- (1) منتصر، عبد الحليم (الدكتور): تاريخ العلم ودور العلماء في تقدمه، القاهرة ط2، 1969، ص83.
- (2) طوقان، قدري حافظ: العلوم عند العرب، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1956، ص67.
- (3) مجلة المجمع العلمي العراقي مج 33/ص4 .
- (4) الجاحظ، ابو عثمان (ت 255 هـ): كتاب الحيوان 5/ص149.
- (5) نفسه: 10/6.
- (6) الجاحظ: المصدر السابق 35/6.
- (7) محمد، محمود الحاج قاسم (الدكتور): الطب عند العرب والمسلمين – تاريخ ومساهمات، الدار السعودية للنشر، جده 1987، ص281.
- (8) ابن ميلاد الحكيم احمد: تاريخ الطب العربي التونسي مطبعة الاتجاه التونسية ، تونس ، 1980ص153.
- (9) ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين احمد بن القاسم (ت668هـ) : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، دار الفكر ، بيروت ، 1965 ، ج 2 ، ص 283 .
- (10) ابن سينا، ابو علي الحسين (ت428هـ): القانون في الطب، ج3 ص288.
- (11) محمد، محمود الحاج قاسم: المرجع السابق ص287.
- (12) الشيخ حسين، عادل محمد علي: مساهمة العرب في علوم الحياة الموسوعة الصغيرة 41 بغداد/ 1979 ص40-41.
- (13) نفسه: ص41.
- (14) نفسه: ص42.
- (15) مساهمة العرب، المرجع السابق ص47.
- (16) نفسه: ص48.
- (17) نفسه: ص48.
- (18) نفسه: ص49.
- (19) نفسه: ص52.
- (20) المرجع السابق : ص53 .
- (21) كتب الحيوان عند العرب : د. محمد باقر علوان مجلة المورد ع1972/1 ص26-27 .
- (22) مساهمة العرب: المرجع السابق ص53 .
- (23) نفسه: ص54.
- (24) نفسه : ص64.

## مصادر البحث ومراجعته

## أولاً: الكتب:

- 1- ابن ابي أصيبعة، موفق الدين احمد بن القاسم (ت 668هـ):  
عيون الانباء في طبقات الاطباء، دار الفكر، بيروت، 1956، ج2.
- 2- الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ):  
كتاب الحيوان، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، مصر ، 1948 ، ج5.
- 3- ابن سينا، ابو علي الحسين (ت428هـ):  
القانون في الطب، ج3.
- 4- الشيخ حسين، عادل محمد علي:  
مساهمة العرب في علوم الحياة، سلسلة الموسوعة الصغيرة 41، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، حزيران، 1979.

- 5- طوقان، قدرى حافظ:  
العلوم عند العرب، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1956.
- 6- محمد، محمود الحاج قاسم (الدكتور):  
الطب عند العرب المسلمين – تاريخ ومساهمات -، الدار السعودية للنشر، جدة، 1987.
- 7- منتصر، عبد الحليم (الدكتور):  
تاريخ العلوم ودور العلماء العرب في تقدمه، القاهرة، ط2، 1969.
- 8- ابن ميلاد الحكيم احمد:  
تاريخ الطب العربي التونسي، مطبعة الاتجاه التونسي، تونس، 1980.
- ثانياً: الدوريات:**
- 1- مجلة آفاق عربية: ع10 السنة الاولى، بغداد، 1976.  
( كتب العرب في علوم الحياة) عادل محمد علي الشيخ حسين.
- 2- مجلة المجمع العلمي العراقي: مج33، 1982.  
(تاريخ العلم عند العرب) د. صالح احمد العلي.
- 3- مجلة المورد : ع1972/1 .  
(كتب الحيوان عند العرب) : د. محمد باقر علوان.